كيف تم إعلان الاستقلال من داخل البرلمان السوداني
(دراسة تحليلية)

جامعة السودان المفتوحة

د.أحمد سمي جدو

المستخلص :

تناولت الورقة كيفية تحقيق استقلال السودان بواسطة جهود ومقاومة كلفئات المجتمع السودان الشعبية والسياسية، حتي لحظة اعلانه من داخل البرلمان . وهذا الحراك الثوري قد كان مسنوداً بالأدوار التي لعبتها الجمعيات السرية وغيرة ووطنية القائمين علي أمر تنظيم العمل فيها . كما استعرضت الورقة دور الحركة الوطنية السودانية في مقاومة الاستعمار البريطاني بشتي الوسائل، مثل نشر المقالات عبر جريدة الحضارة وصحيفة صوت السودان، لتنوير وتبصير الشعب . كما ركزت الورقة على دور الأحزاب السياسية ممثلة في حزب الأمةو حزب الاشقاء في تطوير فكرة الحصول على الحكم الذاتي التي قادت إلى اعلان الاستقلال من داخل البرلمان في 19/ 12/ 1955م بواسطة الزعيم المناضل اسماعيل الأزهري، وتثنية النائب مشاور جمعة سهل نائ بدائرة دار حامد بشمال كردفان .

Abstract:

The paper dealt with the independence of the Sudan had been achieved through the efforts and resistance of all the Sudanese people and political groups of Sudanese society, until the moment it was announced from inside the parliament. This revolutionary movement was supported by the roles played by the secret societies, the zeal and patriotism of those in charge of organizing work in them. The paper also reviewed the role of the Sudanese national movement in resisting British colonialization by various means, such as publishing articles through Al-Hadara newspaper and Sawt Al-Sudan newspaper, to enlighten the people.Such as publishing articles through Al-Hadara newspaper and Sawt Al-Sudan newspaper, to enlighten the Sudanese people in all its sectors of the necessity of coordinating efforts towards achieving indepen-

dence and liberation from the grip of the colonialists. The paper also focused on the role of the political parties represented by the Umma Party and the Brothers' Party in developing the idea of obtaining autonomy, which led to the declaration of the independence from inside the Parliament on 12/19/ 1955 AD by the militant leader Ismail Al-Azhari, who was secondedbythe representative, Mashwar Jumaa Sahal, deputy of Dar Hamid district in North Kordofan Province.

المقدمة :

إن استقلال السودان في الأول من يناير 1956م ، يعد من الأحداث المهمة التي شغلت الرأي العام المحلي والإقليمي والعالمي ، وذلك لأنه قد تم في ظروف عصيبة وبالغة التعقيد ، خاصة وأنه كان يخضع سياسياً لدولتين متنافستين للانفراد به ، والتمتع بموقعة الاستراتيجي ، وموارده الطبيعية والمائية وخيراته الوفيرة . فبريطانيا تريد وجوداً استعمارياً في بلد يمثل قلب افريقيا النابض ، الذي يطل علي أماكن استراتيجية تخدم المصالح البريطانية ، فهو يطل علي البحر الأحمر والقرن الأفريقي ، وهو كذلك المعبر لكل دول الجوار الأفريقي ، لتحقيق أحد أهدافها الاستراتيجية في المنطقة ، وهو فصل الجنوب والحاقه بشرق أفريقيا ، لضمان الحفاظ علي الهوية الثقافية والاجتماعية للجنوب ، في مواجهة حكومة مشكلة من أغلبية شمالية مسلمة . أما مصر فقد كانت هي الأخرى تسعي للانفراد بالسودان لتأمين حدودها الجنوبية ،ولتحقيق الاتحاد السياسي بينها وبينه ، لما في السودان من مقومات يمكن أن تسهم في نهضة مصر زراعياً وصناعياً ، لتأمين غذاء شعبها الذي يفتقر إلي الأراضي الزراعية الواسعة والخصبة ، وتأمين منابع النيل لضمان بقائها قوية .وتهدف الورقة الي تنوير وتبصير الجيل الحالي ، بكيفية حصول وطنه السودان علي استقلاله من قبضة المستعمر، من خلال عمل وطني خالص ، ومقاومة وطنية استخدم فيها السودانيون كل الأساليب والتدابيرالمشروعة ، الكفيلة بتحقيق الاستقلال ، ونيل الحرية وبسط السيادة ، علي كامل ترابه وأراضيه ، بعيداً عن أي مهدد خارجي أو نفوذ أجنبي .

أهداف الورقة :

تهدف هذه الورقة إلي الآتي :

1. كشف أبعاد المخطط البريطاني باتجاه الجنوب الذي بدأ في العام 1930م والذي كان يرمي إلي إعادة تحديد معالم كيفية إدارة الجنوب بمعزل عن الشمال .
2. الكشف عن الأساليب والتدابير التي اتخذتها الادارة البريطانية

لإحكام السيطرة على التجار الشماليين ، بتقليص التصاريح الممنوحة لهم ، وحصرهم في المدن والأرياف عبر طرق محددة .

3. التعرف على هدف الادارة البريطانية من وراء انشاء أندية الخريجين بعد الحرب العالمية الأولي التي توقفت في العام 1918م .
4. الوقوف على دور الأحزاب السياسية والتنظيمات الفئوية في تحقيق الاستقلال .
5. فهم وشرح عملية السودنة وكيفية إعلان الاستقلال من داخل البرلمان في 19/12/ 1955م .

أهمية الورقة :

تبدو أهمية الورقة في أنها تسلط الضوء على الأدوار التي أدتها جمعية الاتحاد في العام 1920م ، بقيادة عبيد حاج الأمين ، وتوفيق صالح جبريل ، وسليملن كشة ، وابراهيم بدوي ، وجمعية اللواء الأبيض بقيادة الضابط علي عبد اللطيف في العام 1924م ، والتي تزامنت مع مقتل السير لي استاك حاكم السودان العام في 19 نوفمبر 1924م . وتظهر أهمية الورقة في أنها تفضح المخطط البريطاني ، لفصل الجنوب المسيحي، عن الشمال المسلم ، تمهيداً لتنفيذ سياسة المناطق المقفولة ، وكيف أنهم قد شجعوا التجار الاغريق والسوريين ، ليحلوا محل التجار الجلابة الشماليين . كما وتستعرض الورقة دور الأحزاب السياسية في تحقيق الاستقلال ، ممثلة في حزب الأمة الذي تأسس في العام 1945م، والذي تبني شعار السودان للسودانيين ، في محاولة منه لمقاومة أي اتجاه للوحدة مع مصر . بالاضافة الي دورالأحزاب السياسية الأخري ، التي تولت قيادة الحركة الوطنية تحت مفهوم مقاومة الاستعمار بكل الوسائل المتاحة ، واجباره علي مغادرة السودان ، والتي نجحت في ذلك ، باعلان الاستقلال من داخل البرلمان في جلسة 15/ 12/ 1955م .

المنهج المتبع في كتابة الورقة :

ان المنهج المتبع في كتابة هذه الورقة هو المنهج الوصفي التحليلي المستند الي المصادر الوثائقية ، والمتبع عادة في تحليل الدراسات التاريخية ، بهدف اثراء مادة البحث وموضوعه.

المقاومة الوطنية للاستعمار البريطاني :

إن الغزو الانجليزي للسودان واسقاط دولة المهدية وقتل الخليفة عبد الله وقادته في أم دبيكرات ، قد ولد شعوراً بالغضب والمهانة والاذلال بين السودانيين وخاصة الأنصار ، الذين أيقنوا بأن هزيمتهم من قبل الغزاة قد كانت بسبب تفوق السلاح الناري ، ولذلك صمموا علي مقاومة المحتل مهما

كانت الأسباب . الأمر الذي أدي إلي ظهور بعض الحركات التي ظلت تعتقد بأن المهدية لم تسقط ، والتي عرفت بالحركات العيسوية . ومن قواد تلك الحركات محمد الأمين في جنوب دارفور في العام 1903م، ومحمد آدم في سنجة ومن نتائج تلك الحركة قتل مأمور سنجة 1904م [1]. كما ظهر سليمان ود البشير في مدني وموسي أحمد البرقاوي في كسلا [2]. ثم تلتها ثورة عبد القادر ود حبوبة 1908م ، التي اتخذت منطلقاً دينياً وسياسياً كان أساسه ما آلت إليه الدولة المهدية ذات التوجه الاسلامي . بالإضافة إلي ممارسات الحكم البريطاني التي كرست الظلم وألحقت الأذى بأنصار الامام المهدي [3] .وما يمكن أن يقال عن تلك الفترة أن المقاومة الوطنية قد اتخذت أشكالاً وصوراً مختلفة وفي مناهضة مستمرة للوجود الاستعماري في السودان.

دور الحركات الوطنية خلال الحرب العالمية الأولي وما بعدها:

لقد حاولت الادارة البريطانية خلال تلك الفترة إبطال مفعول دعوات السلطان العثماني وحيد الدين في نوفمبر 1914م الذي رفع راية الجهاد ضد الكفار وطالب بمساندة دولة الخلافة .ولتتجنب حكومة السودان أي رد فعل يمكن أن يحدث في السودان ناشدت زعماء الطوائف الدينية الثلاثة السيد عبد الرحمن المهدي ، والسيد علي الميرغني ، والشريف يوسف الهندي للقيام بطواف علي المديريات لإقناع المواطنين بمساندة بريطانيا في الحرب ضد دول المحور بقيادة ألمانيا وتركيا [4] . وهناك مقاومة السلطان علي دينار التي ظهرت كنتيجة للتدخل البريطاني في الحجاز والشام بهدف القضاء علي النفوذ العثماني في تلك البلاد. وقد قام علي دينار بهذا الدور منطلقاً من دوافع دينية ووطنية حتمت عليه ضرورة مقاومة الانجليز ، وذلك عند قيامهبإرسال عدة خطابات موجهة الي الحاكم العام في الخرطوم منتقداً فيها سياسة الانجليز في مصر ومعاداتهم للإسلام . وقد جاءت مقاومة السلطان علي دينار الموالي للسلطان العثماني متزامنة مع مقاومة زعيم آخر هو أحمد الشريف السنوسي الذي كان يقود المقاومة الوطنية الليبية ضد النفوذ الايطالي في ليبيا ، مهدداً مصالح بريطانيا في قناة السويس في مطلع العام 1915م. وعلي الفور شكلت حكومة السودان حملة قوامها 3000 ألف جندي للقضاء علي السلطان علي دينار في نوفمبر 1916م. [5]

لم تنعم بريطانيا طويلاً بالمكاسب التي حققتها بانتصارها في الحرب العالمية الأولي ، اذ سرعان ما بدأت تلوح في الأفق ارهاصات وبوادر مقاومة وطنية تهدد وجودها في المنطقة العربية وفي مصر ، وذلك بقيام ثورة 1919م التي نادت باستقلال مصر ، وطالبت بجلاء القوات البريطانية عن مصر والسودان[6].

وفي هذه الاثناء وجد السودان نفسه ضمن مستعمرات بريطانيا التي بدأت تنادي بالاستقلال عن طريق الكفاح المسلح ، استناداً علي المبادئ التي طرحها الرئيس الأمريكي ودرو ولسن ، والتي قبلتها بريطانيا وعلي أساسها توقفت الحرب . إلا أن بريطانيا قد كانت تري بأن شعوب مصر والسودان غير مؤهلة للتمتع بحق تقرير المصير.

جمعية الاتحاد:

لقد تشكلت في السودان حركة مقاومة أطلقت علي نفسها جمعية الاتحاد في العام 1920م، والتي كانت لديها خلايا لا يزيد عدد أفرادها عن الخمسة، ولا يوجد أي اتصال بين خلية وأخرى لدواعي السرية. ومن قيادات تلك الجمعية عبيد حاج الأمين ، وتوفيق صالح جبريل ، ومحي الدين جمال أبوسيف، وسليمان كشة ، وابراهيم بدري ، والذين استخدموا أسماءاً مستعارة في كتابة المنشورات والملصقات . ومن أدلة ذلك أن جريدة الحضارة قد نشرت أربع مقالات كتبها حسين شريف 1920م ، أوضح فيها أن مصر ليست في موقف يسمح لها بإدارة السودان ، لأنها هي نفسها تحت الاحتلال ، كما طالب بالغاء الاتفاق الثنائي بين بريطانيا ومصر في إدارة الشأن السوداني [7] .

دور جمعية اللواء الأبيض في مقاومة الاستعمار البريطاني :

وبظهور هذه الجمعية حدث تحول كبير في بنية المقاومة الوطنية السودانية ، بحيث تحولت من حركة ذات قيادة مدنية إلي حركة وطنية يقودها عسكريون ، وذات منهج وأسلوب صارم في التعامل مع الادارة البريطانية بقيادة الضابط علي عبد اللطيف الذي كانت له اتصالات بالضباط المصريين ، وعلاقات متميزة مع عبيد حاج الأمين أحد أعضاء جمعية الاتحاد . فقد قام علي عبد اللطيف بكتابة رسالة أراد نشرها في جريدة الحضارة ، عدد فيها أوجه القصور في الادارة البريطانية ، وحرص علي أن تكون المطالب اصلاحية وليست ثورية، فقد طالب بحق تقرير المصير للسودان ، وفتح مزيد من الفرص لتعليم السودانيين والحاقهم بالوظائف العليا في الخدمة المدنية ، واجراء اصلاحات في المجال الاقتصادي . إلا أن هذا المقال قد أوقف نشره وتمت محاكمة علي عبد اللطيف بالسجن لمدة عام باعتباره محرضاً ضد سلطة قائمة [8]. والجدير بالذكر أن وجود علاقة بين جمعية اللواء الأبيض والضباط المصريين في السودان ، لا يعني أن الجمعية قد تأسست بإيعاز من الحركة الوطنية في مصر ، وأن الجمعية صنيعة مصرية ، وهو الأمر الذي روجت له تقارير مدير الخرطوم E.H.Baily في مذكرة بتاريخ 1925م. وتعتبر ثورة 1924م هي بداية المواجهة مع حكومة السودان عندما أرسلت وفداً يتكون من محمد الخليفة ، وزين العابدين

عبد التام ، مزوداً بعرائض تعبر عن الولاء لملك مصر ، إلا أنه قد تم اكتشاف سفر الوفد فأعيد من وادي حلفا بالقطار ، فحدثت أول مظاهرة سياسية في تاريخ السودان الحديث احتجاجاً علي هذا الاجراء [9] . وقد قامت بتغذية هذه المظاهرة بعض الخطب السياسية من المساجد ، أشهرها خطبة الشيخ حسن الأمين الضرير إمام مسجد الخرطوم ، الذي هاجم بريطانيا ، كما ألقي أحمد ادريس أبو غالب إمام مسجد أم درمان خطبة سياسية أسهمت في انتشار المظاهرات في كل مدن السودان الأبيض ومدني وبورتسودان [10]. ومما زاد الأمر سوءاً علي سوئه مقتل السير لي استاك حاكم عام السودان وسردار الجيش المصري في 19 نوفمبر 1924م ، تم علي أثره سحب الفرقة الرابعة ، ولم يتمكن هدلستون من استخدام القوة ضد فرقة المدفعية التي رفضت الانسحاب ، وعلي أثر ذلك تم تشكيل محاكمة لقادة التمرد في فبراير 1925م بعد توجيه تهمة التمرد لكل من عبد الفضيل الماظ الذي استشهد داخل المستشفى ، وحسن فضل المولي ، وثابت عبد الرحيم ، وسليمان محمد ، الذين أعدموا رمياً بالرصاص. كما صدر العفو عن كل سجناء ثورة 1924م ،ومع ذلك فقد تعرضت جمعية اللواء الأبيض لبعض عوامل الضعف نتج عنها اجهاض كل تحركاتها ، بحيث تمكنت الحكومة من اعادة الهدوء في كل البلاد .ومن العوامل التي أثرت علي أداء جمعية اللواء الأبيض ، ضعف أجهزتها التنظيمية ، وذلك لأنها كانت مخترقة بواسطة جهاز المخابرات الذي كان يتتبع نشاط وتحركات أعضائها بواسطة بعض العملاء[11].

أبعاد المخطط البريطاني خلال 1930م:

لقد ظهرت ملامح هذا المخطط إلي حيز الوجود عندما بدأ الحاكم العام في التوجيه بضرورة إعادة تحديد معالم كيفية إدارة الجنوب ، وذلك بخلق سلسلة من الوحدات العنصرية والقبلية علي أساس العادات والتقاليد المحلية الموروثة تمهيداً لفصل الجنوب عن الشمال المسلم في المستقبل ، وذلك بأن تكون اللغة الانجليزية هي اللغة الرسمية في الجنوب علي أن يتم توفير المتحدثين باللغة الانجليزية بواسطة المدرسة الارسالية الوسطي في منقلا ومدرسة استاك ، ولتنفيذ هذا المخطط بدأت حكومة السودان في تشجيع التجار الاغريق والسوريين ليحلوا محل التجار الجلابة (الشماليين) ، وذلك بتقليص التصاريح التي تمنح لهم بل وقد بدأوا في حصرهم بالمدن والأرياف عبر طرق محددة تمهيداً لتنفيذ سياسة المناطق المقفولة . ولتحقيق هذا الهدف تم تقليص استخدام اللغة العربية باعتبارها مظهر من مظاهر العروبة والاسلام، وأنها ليست لغة الحاكم والمحكوم إذ لابد من أن تتلاشي تدريجياً، ويجب ألا تستخدم

كلغة تفاهم مشتركة Lingufranca والدليل على ذلك فقد وجه السكرتير الاداري خطاباً إلي مدير بحر الغزال في 14مايو 1930م بضرورة اخراج الشماليين من الجنوب بالتدريج مع تجنب استخدام القوة ضدهم (12) .

الأحزاب السياسية ودورها في تحقيق الاستقلال:

أ/ حزب الأمة :

تأسس هذا الحزب في العام 1945م، ولكنه لم يظهر أي برنامج يوضح فلسفته التي يقوم عليهابل وقد كانت قناعة السيد عبد الرحمن المهدي أن مهادنة الانجليز أمر ضروري لأنه يريدتثبيت كيان أنصاره وتنمية موارده المالية ، خاصة بعد أن أوعز له الانجليز بإمكانية تنصيبه ملكاً على السودان ، بشرط التعاون معهم . الأمر الذي جعله يتبني شعار (السودان للسودانيين)، وذلك لمقاومة أي اتجاه للوحدة مع مصر ، وقد تشكلهذا الحزب من الأنصار الذين يدينون بالولاء والطاعة للسيد عبد الرحمن المهدي وهم زعماء العشائر وشيوخ القبائل التي تحتفظ بولاء تاريخي للمهدية خدمة لمصالحهم المرتبطة بالحزب . ومن قياداته أحمد محمد عثمان الميرغني ومحمد صالح الشنقيطي، وأحمد يوسف هاشم ، والزبير حمد الملك ، وبابو نمر، والملك حسين عدلان [13].

ب/ الأحزاب الاتحادية:

لقد ارتبطت طائفة الختمية بالسيد علي الميرغني الذي تعاون مع الانجليز منذ بداية الاحتلال الذي كان هو الآخر يفكر في اعتلاء عرش السودان، الأمر الذي أبعده كثيراً عن فكرة وحدة وادي النيل والسير وراء المخططات البريطانية لعزل السودان عن مصر تحت شعار (السودان للسودانيين) غير أنهم تراجعوا عن فكرة الملكية وأسسوا لهم حزباً سياسياً باسم الجبهة الوطنية ، لكنهم لم يتمكنوا من جذب المؤيدين أول أمرهم ، إلا أنهم لاحقاً قد نجحوا في استقطاب قيادات الاتحاديين ، وشكلوا حزباً لعب دوراً مقدراً في المسرح الساسي السوداني ، تمكن من انشاء صحيفة باسم (صوت السودان)، وهناك من الأحزاب ما عرف بالأحزاب الاتحادية التي تولت قيادة الحركة الوطنية تحت مفهوم مقاومة الاستعمار واجباره على المغادرة من كل وادي النيل [14].

أما حزب الأشقاء فقد نجح في جمع مؤيدين كثر لدرجة أنه تمكن من السيطرة على قيادة المؤتمر في عام 1945م ، بالرغم من أنه لم ينشر برنامجاً واضح المعالم حول سياسته وفلسفته في الحكم ، فقد تبني موقفاً وسطاً بين الاتحاد الفيدرالي والوحدة الكاملة ، ومن أبرز قياداته اسماعيل الأزهري ، ومحمود نور الدين ، واحمد محمد يسن ، ومحمود الفضلي . وهناك

حزب وحدة وادي النيل الذي تأسس في العام 1946م ، تحت شعار الوحدة الكاملة بين مصر والسودان ، وكان يسعي للقيام بدور مؤثر في الحركة الوطنية والساحة السياسية باتجاه مقاومة الاستعمار في كافة صوره وأشكاله .

التمهيد للاستقلال :

انطلاقاً من سياسات الحكومة المصرية التي أحدثت ردود أفعال مباشرة بين السودانيين ، والتي كانت في غالبها سلبية عندما أعلن رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي عزم حكومته علي مراجعة معاهدة 1936م ، والتي عقدت في ظروف هدد فيها موسوليني مصالح بريطانيا من ليبيا وأثيوبيا ، عندما نجحت بريطانيا في تأمين مواقع عسكرية أسهمت في انزال الهزيمة بدول المحور في الشرق الأوسط ،عند اندلاع الحرب العالمية الثانية ، الأمر الذي جعل مصر تقرر مراجعة الاتفاقية عندما علمت بأبعادها الحقيقية للحصول علي مكاسب توازي ما قدمته لبريطانيا ، بالرغم من أن أجل الاتفاقية لم يحن بعد . خاصة وأن الاتفاقية قد سمحت بهجرة مصرية غير محدودة ، مع حقها في التملك ،والشاهد أن بريطانيا قد وافقت علي مضض بمراجعة معاهدة 1936م مركزة علي البنود العسكرية فقط [15] .وعلي الفور قرر مؤتمر الخريجين مع الأحزاب الأخرى تشكيل وفد يسافر الي القاهرة لمراقبة ما يتعلق بشأن السودان بين المتفاوضين ، وقد مثلت الأحزاب الاتحادية بزعامة الأشقاء ، والاستقلاليين بزعامة حزب الأمة ، وتم الاتفاق علي مبدأ موحد هو قيام حكومة ديمقراطية حرة بالاتحاد مع مصر والتحالف مع بريطانيا . إلا أن نوايا المصريين قد ظهرت عندما أعلن صدقي باشا أن أي حديث عن السودان في هذه المفاوضات سيكون في اطار وحدة وادي النيل تحت التاج المصري . الأمر الذي أدي إلي رفض الأحزاب الاستقلالية لهذا المبدأ وغادرت القاهرة ، بينما بقي الاتحاديون الذين اعترفت الحكومة المصرية بتمثيلهم للسودان . وقد تم الاتفاق بين الدولتين علي أن هدف إدارة السودان هو رفاهية الشعب السوداني ، ومشاركة السودانيين في إدارة بلادهم. تمهيداً للحكم الذاتي ، وبعدها تكون لهم الحرية في تقرير مستقبل بلادهم ، مع الاحتفاظ بعلاقات جيدة مع الدولتين . وفي حالة اختيار الاستقلال فسوف تجري ترتيبات بشأن مياه النيل ، وتكوين مجلس مشترك لمتابعة موضوع الحكم الذاتي ، ومن ثم رفع تقارير الحكومتين[16].وبحلول العام 1951م ازداد ضغط حزب الأمة في الجمعية التشريعية ، من أجل تسريع إعلان الحكم الذاتي ، وبالفعل قدم محمد الحاج الأمين مقترحاً في يوم 13 ديسمبر 1951م للحاكم العام بضرورة اعلان منح السودان الحكم الذاتي قبل نهاية هذه الدورة تمشياً مع سياسة كسب الوقت . إلا أن الاقتراح قد سقط بصوت

واحد ، (39-38) فجاء القرار أن ليس من سياسة حكومة السودان تجهيز السودان لحكم ذاتي علي أساس أنه لا يعتمد أي قرار أجيز بأغلبية صوت واحد . الأمر الذي أجبر الجميع علي الاتفاق لوضع نهاية للحكم الثنائي في السودان ، بحيث أفضي ذلك إلي حدوث تقارب بين الأنصار والختمية ، أدي إلي اتفاق بينهما لإقرار تقرير المصير عبر استفتاء تحت رعاية الأمم المتحدة . وقد ساندهم في ذلك حزب الأشقاء وأغلب الأحزاب السياسية الأخرى في يناير 1952م . وعلي الفور سافر وفد مشترك لترويج فكرة تقرير المصير لدي الأمم المتحدة بمساعدةمن مندوب باكستان ظفر الله خان ، ومندوب سوريا فارس خوري ، مما أسهم في تنظيم حملة واسعة بين الأعضاء بتوزيع نشرة رسمية لعرض القضية عي ضوء توصيات لجنة التعديلات الدستورية ، والتي عبرت عن رغبة الشعب السوداني في تقرير المصير عبر الاستفتاء ، مع علم بريطانيا المسبق بأن نتيجة الاستفتاء لن تكون سوي الاستقلال ، فعجلت بتطبيق الحكم الذاتي فوراً، وكتب السكرتير الاداريإلي كل المديرين يطلب منهم الاسراع في تنفيذ وتطبيق الحكم الذاتي، حتي تكسب بريطانيا مساندة الطبقة المتعلمة في مواجهة ادعاء مصر للسيادة علي السودان . بل وحددت ضرورة قيام فترة انتقالية يشكل خلالها مجلس وزراء سوداني مسؤول أمام برلمان يتكون من مجلسين ، مجلس نواب من 81 عضواً منتخباً 24 منهم عبر انتخاب مباشر ، و54 عبر انتخاب غير مباشر ، و3 من دوائر الخريجين ، علي أن يتكون مجلس الشيوخ من خمسين عضواً [17] . وفي 10 يناير 1953م تم توقيع اتفاقية أخري عرفت باتفاقية الجنتلمان وقعها حزب الأمة والحزب الوطني الاتحادي لضمان تنفيذ المقترحات ، جاء في بنودها ضرورة تسليم المساعدات المصرية للحكومة خلال فترة الانتقال ، وأن تتوقف الصحافة عن نشر المواد الاستفزازية التي تؤذي العلاقات الودية بين البلدين . كما تقرر انسحاب القوات البريطانية والمصرية خلال ثلاثة أشهر من اعلان البرلمان ، وأن ترتيبات حق تقرير قد بدأت ، وأن تتولي قوة دفاع السودان تحت اشراف الحكومة لحفظ الأمن والنظام[18]. وفي جلسة يوم 1955/12/15م ورداً علي سؤال أحد النواب ، أفاد الأزهري بأنه سوف يعلن الاستقلال من داخل البرلمان ، مما يعني إلغاء الاستفتاء ، وقد وافقت الأحزاب السياسية علي ذلك ، بالرغم من مطالبة حزب الأمة بضمان ما بعد الاستقلال . وقد حرص الأزهري علي الحصول علي موافقة دولتي الحكم الثنائي في جلسة يوم 1955/12/17م حيث تم الاتفاق علي أربعة مقترحات لتعرض علي البرلمان في جلسة يوم 1955/12/19م وهي:

1. أن تنظر الجمعية التأسيسية عند قيامها في مطالب الجنوبيين لتأسيس دولة فيدرالية للمديريات الجنوبية .
2. إعلان الاستقلال فوراً .
3. تشكيل هيئة تقوم مقام رأس الدولة .
4. قيام جمعية تأسيسية منتخبة لوضع الدستور الدائم للبلاد ، واجازته ووضع قانون الانتخابات للبرلمان ، وقد أجيزت المقترحات الأربعة بالإجماع [19] .

وما أن انعقدت الجلسة التي تحمل الرقم (43) في دورتها الثالثة لأول برلمان سوداني ، وقد كان ذلك يوم الاثنين الموافق 19 ديسمبر 1955م . وعند بداية الجلسة تم تقديم بعض المقترحات وتمت اجازتها ، إلا أن أهم الاقتراحات هو الاقتراح الذي تقدم به النائب عبد الرحمن محمد ابراهيم دبكة نائب دائرة نيالا غرب، وقد كان اقتراحه علي النحو التالي : «سيدي الرئيس أرجو أن أقترح بأن نقدم إلي معالي الحاكم العام الآتي: نحن أعضاء مجلس النواب في البرلمان مجتمعين نعلن باسم الشعب السوداني ، أن السودان قد أصبح دولة مستقلة كاملة السيادة ، ونرجو من معاليكم أن تطلبوا من دولتي الحكم الثنائي الاعتراف بهذا فوراً، وأن اعلان الاستقلال من داخل هذا المجلس أمر طبيعي ومشروع وواجب وطني مقدس بعد أن دخلت البلاد في الطور النهائي من مرحلة الانتقال ، وأننا إذ نسجل للحكومتين البريطانية والمصرية تقديراً لوفائهما بالتزاماتهما في اتفاقية السودان المبرمة في العام 1953م . نأمل جادين في أن تسرع الحكومتان بالاستجابة لهذا النداء الصادر من برلمان الشعب السوداني ، وتعترفا باستقلالنا التام وسيادتنا علي أراضينا ، لأننا نريد لبلادنا استقلالاً كاملاً ونظيفاً ليس فيه نفوذ لأدي دولة أجنبية ، بل نريد حكماً ديمقراطياً يضمن لجميع السودانيين حقوقهم من غير تمييز أو محاباة ، مع تكافؤ الفرص لبناء أمة سودانية موحدة يسودها الرخاء والنماء .» فقام مشاور جمعة سهل نائب دائرة دار حامد شمال كردفان بتثنية الاقتراح المقدم [20]. وعلي الفور قام السيد محمد أحمد محجوب زعيم المعارضة قائلاً « لو كانت مقاعد النواب موضوعة علي الشكل الذي يسمح لنا بأن نجلس اليوم في صف واحد حتي تختفي الحدود والتقاسيم الحزبية ، لما ترددنا لحظة واحدة في ذلك « وأرجو يا سيدي الرئيس أن تسمح لي بأن يعلن هذا المجلس اليوم علي العالم أجمع بأن السودان قد أصبح دولة مستقلة ذات سيادة كاملة . فقام السيد اسماعيل الأزهري وقال قولته المشهورة التي فاجأ بها كل العالم وخاصة دولتي الحكم الثنائي ، وحتي المعارضة السودانية بقيادة محمد أحمد

محجوب ، حيث قال الأزهري « اليوم نعلنها داوية ومن داخل هذا البرلمان أن السودان حراً مستقلاً بكامل حدوده الجغرافية « فصفق الحضور طويلاً ، وتعانق نواب الشعب ، فانهالت التهاني في منظر وطني خالد ، خرجت علي أثره جموع الشعب السوداني فرحة بتحقيق الاستقلال . وبذلك تمت إجازة اقتراح استقلال السودان من أعضاء البرلمان ، فتقدم السيد حسن جبريل سليمان نائب دائرة دارمساليت جنوب بالاقتراح التالي: « وهو قيام رأس دولة سوداني ، وذلك بأن ينتخب هذا البرلمان لجنة من خمسة سودانيين لممارسة سلطات رأس الدولة بمقتضي أحكام الدستور المؤقت الذي سوف يقره البرلمان الحالي حتي يتم انتخاب رأس الدولة ، علي أن تكون الرئاسة دورية « علي أن تضع اللجنة لائحة لتنظيم أعمالها . وقد ثني هذا الاقتراح السيد جشوا ملوال النائب عن دائرة غرب النوير وأجيز بالإجماع .

وفي الجلسة رقم (48) التي انعقدت في يوم الاثنين الموافق 1955/12/26م ، قام السيد مبارك زروق وقدم الاقتراح التالي : «أنه من رأي هذا المجلس أن تكون الآتية أسماؤهم أعضاء في اللجنة الخماسية لممارسة سلطات رأس الدولة بموجب دستور مؤقت يقره البرلمان الحالي « والسادة هم :

1. السيد أحمد محمد صالح
2. السيد أحمد محمد يسن
3. السيد الدرديري محمد عثمان
4. السيد عبد الفتاح المغربي
5. سرسيو ايرو

وقد تمت الموافقة علي هذا التشكيل ، وما أن أعلن الاستقلال حتي بدأت تنهال خطابات التهنئة للحكومة السودانية ، ومن بينها تهنئة من جمال عبد الناصر ، وأخري من سلوبن لويدممثل بريطانيا . وفي أول فبراير تم اعلان الحكومة الوطنية والتي ضمت أحزاب الوطني الاتحادي ، وحزب الأمة ، والحزب الجمهوري الاشتراكي ، والأحزاب الجنوبية ، وتولي رئاستها اسماعيل الأزهري ، كما تم انشاء وزارة الخارجية ، وقدم محمود سيف اليزل خليفة أوراق اعتماده لمجلس السيادة كأول سفير معتمد في الخرطوم . كما قدم السودان طلباً للانضمام للجامعة العربية ، فدعا الرئيس المصري جمال عبد الناصر إلي عقد دورة استثنائية لقبول طلب السودان. كما وجه رسالة إلي الدول العربية عبر فيها عن اعتراف مصر باستقلال السودان [21] وفي الأول من يناير 1956م تم إعلان استقلال السودان بصورة رسمية والذي ما زلنا ننعم به حتي يومنا هذا .

الخاتمة:

لقد كشفت الورقة عن بعض النتائج المهمة ، ويتمثل أبرزها في أن استقلال السودان قد تم علي مراحل متصلة ، بدأتبالأدوار التي قامت بها حركات المقاومة الوطنية المختلفة ، التي انتظمت أرجاء واسعة من السودان ، وقد كان هدفها تحقيق الاستقلال والتحرر من قبضة الاستعمار البريطاني . أولها ظهور الحركات العيسوية ، ومن قوادها محمد الأمين في جنوب دارفور في العام 1903م ، ومحمد آدم في سنجة ، والذي استطاعت حركته قتل مأمور سنجة في العام 1904م ، وسليمان ود البشير في مدني ، وموسي أحمد البرقاوي في كسلا . ومن النتائج أيضاً قيام ثورة عبد القادر ود حبوبة في العام 1908م .

وهناك مقاومة السلطان علي دينارالتي انطلقت في العام 1914م ، بانحيازه الي صف السلطان العثماني وحيد الدين ، ضد دول الحلفاء بقيادة بريطانيا . ومن تلك النتائج المقاومة الوطنية التي تمثلث في بروز جمعية الاتحاد في العام 1920م ، وهي من الجمعيات السرية ، ومن قادتها الفاعلين والبارزين عبيد حاج الأمين ، وتوفيق صالح جبريل ، ومحي الدين جمال أبو سيف ، وسليمان كشة ، وابراهيم بدري . بالاضافة الي الدور التوعوي والتنويري الذي أدته بقوة جريدة الحضارة ، التي كانت تقوم بنشر مقالات الثائر حسين شريف في العام 1920م ، والتي كانت تطالب بالغاء الاتفاق الثنائي بين مصر وبريطانيا بشأن السودان .

كما أن ظهور جمعية اللواء الأبيض بقيادة الضابط علي عبداللطيف، قد أدي الي تحول كبير في مسار المقاومة الوطنية ، بحيث تحولت من قيادة مدنية الي قيادة عسكرية وذات تنسيق مع الضباط المصريين . وهناك دور أئمة المساجد والدعاة ، في اذكاء الروح الوطنية ، وتعبئة الثوار ضد الاستعمار ، أشهرهم الشيخ حسن الأمين الضرير امام وخطيب مسجد أم درمان ، والذي كانتلخطبه القدح المعلي في انتشار المظاهرات في كل مدن السودان . مع الاشارة الي دور الأحزاب السياسية في تحقيق الاستقلال ، ومنها حزب الأمة الذي نشأ في العام 1945م ، والذي كان شعاره (السودان للسودانيين)في مقاومة منه لأي اتجاه للوحدة مع مصر .بالاضافة الي دور الأحزاب الاتحادية الذي كان من انعكاساته انشاء صحيفة (صوت السودان) ، ومنها حزب الأشقاء الذي سيطر علي علي قيادة مؤتمر الخريجين في العام 1945م ، ومن أبرز قياداته اسماعيل الأزهري . ومن النتائج المهمة كذلك أن ازداد ضغط حزب الأمة في الجمعية التشريعية (البرلمان) ، من أجل تسريع اعلان الحكم الذاتي . الأمر الذي أدي الي حدوث تقارب بين الأنصار والختمية ، أفضي الي الاتفاق علي ضرورة المطالبة بتقرير المصير ، عبر

استفتاء شعبي تحت رعاية الأمم المتحدة في العام 1954م . وفي جلسة 12/15/ 1955م أفاد اسماعيل الأزهري بأنه سوف يعلن الاستقلال من داخل البرلمان ، مما يعني ضمنياً الغاء الاستفتاء المزمع اجراؤه ، فوافقت كل الأحزاب السياسية علي ذلك . وفي الجلسة رقم (43) التي انعقدت يوم الاثنين الموافق 19 ديسمبر 1955م ، تم تقديم مقترح اعلان الاستقلال من داخل البرلمان ، فثناه النائب مشاور جمعة سهل نائب دائرة دار حامد بشمال كردفان ، وأجيز المقترح بالاجماع فصفق الحضور طويلاً ، وتعانق نواب الشعب في البرلمان في منظر وطني خالد وباق، والذي علي أثره خرجت جموع الشعب السوداني فرحاً بتحقيق الاستقلالالذي نتفيأ ظلاله الآن .

التوصيات:

ومن التوصيات التي نادت بها الورقة ما يلي :-

1. اجراء بحوث علمية جادة ورصينة ، حول مدلولات ومعني استقلال السودان من قبضة الاستعمار البريطاني، بعيداً عن أي عناصر تأثير دولية أو اقليمية في ذلك الوقت . وهل استطاع السودانيون استثمار الاستقلال لتجاوز بعض مشاكلهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ولماذا فشل السياسيون السودانيون في الحفاظ علي جنوب السودان في اطار الدولة السودانية الموحدة .
2. تقديم دراسة علمية وفق قراءات سياسية ناضجة ، للوقوف علي امكانية عودة جنوب السودان الي حضن الوطن الأم ، حتي ولو في اطار دولة اتحادية أو دولة كونفدرالية .

المصادر والمراجع:

(1) محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، مركز محمد عمر بشير ،أم درمان ،2001م ،ص 409.

(2) Henderson,D.D.The Sudan RepublicErrest Ben. London. 1965< p,21.

(3) أحمد خير، كفاح جيل، الدار السودانية للكتب،الخرطوم،1970، ص 18.

(4) محمد عمر بشير ،تاريخ الحركة الوطنية في السودان 1900-1969م ، ترجمة هنري رياض وآخرون ، المطبوعات العربية للتأليف والنشر والترجمة ،الخرطوم ، 1987م ، ص 197 .

(5) Henderson, op.cit,p,113.

(6) جلال يحي ،العالم العربي بين الحربين العالميتين، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1963م،ص165.

(7) محمد عمر بشير ، مرجع سابق، ص80.

(8) ميمونة ميرغني حمزة ، تاريخ السودان الحديث 2 ، جامعة السودان المفتوحة ، 2007،ص152.

(9) Abdel Rahim, Muddather, Imperilism and Nationalism in the Sudan, Khartoum University, 1986, p,106.

(10) محمد عمر بشير، مرجع سابق ،ص91 .

(11) ميمونة ميرغني حمزة ، مرجع سابق ، ص64.

(12) Abdel Rahim Muddather,Op.cit,p, 78.

(13) ميمونة ميرغني حمزة ، مرجع سابق ، ص 275.

(14) نفس المرجع ، ص277.

(15) Fadwa Abdel Rahman Ali Taha, The Anglo-Egptian Dispute over the Sudan ,1937-1947, Khartoum, 2006, p, A.

(16) Fadwa, op.cit,157.

(17) Holt,P,M.ana Daly, The History of the Sudan from the coming of the Islam to the present Days, Weidenfild,Niecolson,p,155.

(18) ميمونة ميرغني حمزة ،مرجع سابق، ص333.

(19) بشير محمد سعيد ، خبايا وأسرار في السياسة السودانية ،دار جامعة الخرطوم للنشر ، 1993م ،ص 226.

(20) https:www.Sudaress.com.

(21) ميمونة ميرغني حمزة ، مرجع سابق ، ص 386.